المرأة المصرية

ونهضتها في عشرين سنة

للسيدة هدى شعراوي
رئيسة الاتحاد النسائي المصري

تمرُّ الاعوام سراعاً على حياة الأفراد وتلقي أثناء مرورها نظرة عاجلة على أعمالهم إلاّ انها تدوّن في السجل الأبدي لحياة الامم الطويلة ما يخطهُ كل جيل في تاريخ أمته من حسنات وسيئات وما يتركه الأفراد من تراث للخلف بعدهم . فكل فرد مسئول عن جيله أمام وطنهِ وأمام المجتمع وأمام الاجيال القادمة

ولم تكن المرأة المصرية تجهل ذلك عند قيام الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ ، تلك الحركة المباركة التي أفسحت مجال العمل أمامها وأتاحت لها فرصة المساهمة بنصيبها في النهوض بما يجب عليها نحو بلادها فلم تتردد لحظة في خوض ذلك المعترك الوطني الخطير، وفيهِ أبلت بلاءً حسناً شهد به قادة الحركة وزعماؤها وأرباب الاقلام من شعراء وأدباء كما سجلها مؤرخوها وكانت هذه الخطوة فاتحة الخطوات الجديدة التي اعترف بها للمرأة المصرية وأول سطر خط في سجل نهضتنا الحديثة ، وما كان الاتحاد النسائي إلاّ وليد تلك الحركة لتنظيم صفوف المرأة وتوحيد جهودها في خدمة الوطن العزيز

في ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ تأسس الاتحاد النسائي المصري اثر دعوة وجهت الى نساء مصر للاشتراك في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد بروما في شهر مايو من تلك السنة . وكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات التي كنت أتشرف برآستها هي الهيئة النسائية البارزة في مصر فتشكلت من بين أعضائها جمعية الاتحاد النسائي وندبت عنها وفداً لحضور المؤتمر مكوناً مني ومن زميلتيَّ السيدة نبوية موسى والآنسة سيزا نبراوي . وبالرغم من سروري بهذه النتيجة لا أكتمكم انني سافرت متهيبة تلك المسئولية العظيمة خاشية عدم الفشل إذ كانت هذه أول مرة تشترك فيها المرأة المصرية في عمل دولي . ولكن توكلنا على الله يقوينا إيماننا بأننا نحمل رسالة المرأة المصرية التي عاشت حقبة من الزمن مهضومة الحق مهيضة الجناح، ولاسيما أنَّ سفرنا عقب الحركة الوطنية يتيح لنا دحض مختلف المفتريات التي أثيرت في الخارج حول حركتنا الوطنية الكبرى وشوهت من جلالها وعظمتها

لما وصلنا الى روما وجدناها عامرة بمندوبات ست وثلاثين دولة أوفدت كل منها أكثر من عشرين مندوبة عدا الصحفيات والمشتركات الوافدات من مختلف البلدان لمشاهدة المؤتمر

وفي نشاط ذلك المؤتمر وحده لسنا عن كتب أثر الاوروبية في نهضة الغرب . ومع ان وفدنا كان أقل الوفود عدداً وعدداً إلاّ انهُ أحدث تأثيراً كبيراً ولقي ترحيباً عظيماً إذ ظهر أمام ذلك الجمع الحاشد وهو يؤدي رسالته بجد ونشاط وخبرة على عكس تلك الصورة المشوّهة التي طبعها في مخيلة الاوروبيين كتّاب ضمنوا كتبهم معلومات خاطئة عن الشرق ونسائه . ولما تبيّنا شأن الموضوعات التي كان يدرسها ويحضرها مكتب الاتحاد العام في المسائل الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والاقتصادية وخدمة السلام ونزع السلاح طلبنا انضمام جمعيتنا الى جمعية الاتحاد الدولي وصادف طلبنا قبولاً مقروناً بالتشجيع والتعضيد وانضمت جمعيتنا في عضوية هذه الهيئة الدولية الكبرى وأصبح اتحادنا ذا صفتين : دولية وقومية، معترفاً بمكانته في مصر والخارج . ومنذ ذلك اليوم قطعنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو أخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا لنعمل ببلادنا الى مصاف الأمم الراقية مهما يكلفنا ذلك وان نقوم بأمانة واخلاص في تنفيذ برامج الاتحاد النسائي الدولي الذي يشمل أغراضنا المشتركة

وهنا يطيب لي ان اذكر حادثاً كان له تأثيره عند افتتاح ذلك المؤتمر وهو اننا لما دخلنا بهو الاجتماع قبل انعقاده ووجدنا اعلام الدول المشتركة ترفرف على جدرانه ، ولم نكن قد أخذنا الاهبة لذلك لعدم معرفتنا بهذا التقليد ، كلفنا طلاب البعثة المصرية تحضير علم مصري يتعانق فيه الهلال والصليب فصنعوه واذا به اكبر الاعلام الموجودة حجماً . ولما ابديت لهم هذه الملاحظة قالوا ان مصر أعرق الامم ويجب ان يكون علمها اكبر الاعلام فلما قدمته لرئيسة المؤتمر نقلت اليها ملاحظة أبنائنا الطلبة فابتسمت ولما رأت عليه الصليب يعانق الهلال تأثرت تأثراً عظيماً وأمرت بوضعه على يسار المنصة معادلاً لعلم الدولة التي عقد المؤتمر في أرضها فشغل بذلك محلاً ممتازاً . وقدمتنا الرئيسة عند الافتتاح بعبارات ملؤها التأثر والتقدير وكان ذلك أكبر عامل في ازالة الفكرة الخاطئة التي شابت حركتنا الوطنية بوصفها بالتعصب الديني

وانضمت جمعيتنا الى الاتحاد النسائي الدولي على أساس المطالبة بحق الانتخابات للمرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق السياسية والمدنية

ولما كان برنامجنا يتضمن اغراضاً كثيرة قومية ودولية وهي تقتضي بحوثاً في القانون والشريعة والاخلاق والصحة والتعليم ، وجميع هذه البحوث تفتقر الى الاستنارة بآراء الاخصائيين ، رأينا الاستعانة بخبرة بعض رجالنا المختصين وذلك بانشاء لجنة استشارية من القائمين بالتشريع والتعليم والطب والاجتماع فلبى طلبنا إذ ذاك حضرات المحترمين الاستاذ محمد علي علوبة باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومراد سيد احمد باشا ومحمد بركي علي بك والدكتور طه حسين بك والدكتور منصور فهمي بك والاستاذ لطفي الخولي بك واحمد فهمي المرحومين الدكتور محمد شاهين باشا

وعلي بك حمد وابراهيم بك الهلباوي — وكان لمعاونة حضراتهم الثمينة أكبر أثر في حسن توجيه امورنا وتيسير مهمتنا. وانى لأنتهز هذه الفرصة فأقدم لحضراتهم خالص الشكر والاعتراف بالجميل على حسن معونتهم لنا حتى الآن كما ادعو الله أن يتغمد المتوفين برحمته ورضوانه

لقد أخطأ كثيرون فهم مبدأ المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات وظنوا ان المرأة المصرية انما تسعى للسفور ومزاحمة الرجل في ميادين السياسة والعمل مما أدى الى تذمر بعض المحافظين . والحقيقة ان المرأة لم تقصد من المطالبة بحقها السياسي إلى التدخل في الامور السياسية والحزبية المحضة ولاسيما ان قانون الاتحاد النسائي الدولي لا يسمح بالتدخل في الامور السياسية والدينية . وانما طالبت لتستطيع الاشتراك في التشريع والتنفيذ والمساهمة في علاج الاحوال الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية وبالاخص ما كان منها متعلقاً بشؤون المرأة والطفل وقد كان سفورها من الوسائل اللازمة للحصول على هذا الحق . وان كان لتطور المرأة بعض المساوىء فهذا ما يعتري كل تطور في دور الانتقال ولا تلبث هذه المساوىء أن تزول على مرّ الزمن بقليل من العناية وحسن التوجيه. وقد أخذت الجمعية تعمل بجدّ ونشاط في تحقيق أغراضها فتحقق منها ما تحقق وما زالت تسعى في تحقيق ما بقي تدريجيًّا وتجمع هذه الاغراض في أمنية واحدة هي سعادة العائلة بضمان العدل بين أفرادها وبث روح التعاون والوئام فيها واعلاء شأن المرأة برفع مستواها الثقافي والاجتماعي وما المرأة الا مقياس الحضارة في الامة

والنهوض بالمصرية واعدادها لأن تكون أهلاً للمساواة التي تنشدها وضعنا في مقدمة برنامجنا مشروعين أساسيين هما تحديد السادسة عشرة سنًّا أدنى لزواج الفتاة ومساواتها بالولد في جميع مراحل التعليم لكي تتمكن من تكوين جسمها وتثقيف عقلها قبل مباشرة حياتها الزوجية — وقد أقرّ المؤتمر الدولي هذين المشروعين . ولما تقدمنا بهما الى حكومة المعمور له يحيى ابراهيم باشا سنة ١٩٢٣ لم تمض مدة وجيزة حتى نفذ مشروع سن تحديد الزواج ولكن يؤسفني ان اولياء الامور كثيراً ما يلجأون الى الاطباء للحصول على شهادات تخولهم تزويج بناتهم قبل السن المحددة . ولما فتحت أبواب التعليم الثانوي والعالي أمام فتياتنا وظهر حسن استعدادهنّ وتفوقهنّ في الامتحانات العامة ساعد ذلك على الاكثار من مدارس البنات وعلى قبول فكرة ايفاد بعثات من الطالبات الى اوربا لتلقي العلوم العالية أسوةً بزملائهنّ الطلبة . ويرجع أكبر الفضل في نجاح هذا المشروع الى الدعاية التي قمنا بها والى تحميذ ومساعدة القائمين بأمر التعليم لها وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين بك والمرحوم علي بك عمر والى ما أظهرته الحكومات بعد ذلك من تقدير لمواهب الفتيات . ويحق لي أن أفتخر بأن طالباتنا خريجات جامعات اوربا ومصر قد شرفنا بما وصلن اليه من نتائج مرضية وبما بعثنه في النفوس من روح ضبة مستمدات الى الطرق الحديثة المثمرة في التعليم . وهذا يسرني أن

أتلو على مسامعكم احصائية بسيطة تبين اضمحلال الزيادة في عدد التلميذات منذ ست عشرة سنة ففي سنة ٢٤/٢٥ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ١٩٫٢٤ في المائة. وفي سنة ٣٠/٣١ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٢٤٫٤٧ في المائة. وفي سنة ٣٣/٣٤ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٢٧٫٠٤ في المائة. وفي سنة ٣٦/٣٧ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٣٤٫٩٣ في المائة. وفي سنة ٣٩/٤٠ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٣٨٫٩٧ في المائة

أي ان النسبة المئوية ارتفعت في خلال تلك المدة الى الضعف — وقد وصل عدد الطالبات في كليات الجامعة الى ٦٨٣ طالبة في هذه السنة عدا ٩٢ خريجة في السنوات الماضية

ولقد كان لاحتفال الاتحاد النسائي بأولى خريجات كليات الجامعة المصرية سنة ١٩٣٣ أثر كبير في اقبال الفتيات على طلب العلم وحفز أولياء امورهن على تسهيل سبيلهن في تحصيل العلم والثقافة. ومن دواعي فخر نهضتنا ان أثرها لم يقتصر على خدمة العلم وتغذيته في مصر بل أصبح لنا اليوم فتيات يمارسن التعليم فيربين وينقفن بنات الأقطار الشقيقة هذا فضلاً عن نجومنا السواطع في سماء العلم والأدب من طبيبات ومربيات ومحاميات وشاعرات وكاتبات وصحفيات وكم ينشرح صدري كلما رأيت اسماً جديداً على كتاب او مقالة أو رسالة على صفحات الجرائد او كلما سمعتهن يدعن او يشتركن في مناظرة ويحرزن قصب السبق على المتناظرين

أما عن الفن فحدث عن تقدم المرأة فيه فهي فنانة موهوبة بطبيعتها في الموسيقى والغناء والرسم والتمثيل وكم فازت في مباريات النحت والتصوير التي تقيمها كل عام لتخليد ذكرى مختار وفيص كما فازت في مباريات أدبية وعلمية — وقد ثبت بالتجربة أن تعليم البنت واشتغالها بأمور التربية والاعمال العامة أعدها لواجبات الزوجية والأمومة اعداداً صالحاً

ومما كان من أعز أماني الاتحاد سرعة النهوض بالمرأة ورفع مستواها العلمي والاخلاقي واعدادها لحياة الزوجية والأمومة والعمل كي تستفيد البلاد من تقدمها ونشاطها فرأينا انشاء مدرسة للامهات غير القادرات لتعليمهن مبادىء التربية والتدبير والعناية بصحة أطفالهن يتبعها مستوصف لمعالجة المرضى من النساء والأطفال بالمجان فاستأجرنا لذلك منزلاً بحي زين العابدين وحاولنا محاربة الجهل والخرافات المتمكنة من عقول تلك الفئة ولما لم نصل الى النتيجة المرجوة فضلنا أن نوجه عنايتنا وجهودنا الى اعداد الناشئة من البنات واستأجرنا مؤقتاً داراً أكبر من الاولى بشارع محمد علي وأعددنا فيها مشغلاً ومدرسة للتعليم الاولي ومستوصفاً لمعالجة الامهات والبنات ووجهنا نداءً الى الاطباء فلبى رجال المروءة والانسانية نداءنا وتطوعوا لخدمة مستوصفنا وهم حضرات الاطباء المحترمين محجوب بك ثابت والدكتور سامي كامل والدكتور عبد الحميد وفا والدكتور توفيق النحاس والدكتور القيم والدكتور سليم صبري الذي لم يتخلف مرة واحدة طيلة العشرين سنة الماضية عن الحضور

الى المستوصف أو المدرسة لمعالجة المرضى ومباشرة صحة التلميذات وتوجيههن بالنصح والارشاد وتعليمهن مبادىء الصحة والاسعافات الطبية حتى أصبح بعدئذ أنشط عضو وأمتن ركن في الاتحاد — وهنا لا ننسى ما قدمه الدكتور رزق من المعونة في تعليم تلميذاتنا مبادىء الصحة مدة من الزمن — ولما كثر عدد تلميذاتنا وتعددت مشروعاتنا فكرنا في انشاء معهد فسيح كامل الاستعداد — ولما كان يعوزنا المال لشراء الأرض واقامة البناء عليها تقدمنا الى الحكومة بطلب قطعة أرض من ممتلكاتها واخترنا الارض المقامة عليها هذه الدار وسعينا مدة خمس سنوات حتى حصلنا عليها في حكم المغفور له محمد محمود باشا طيب الله ثراه . أما المال فقد دبرنا جزءاً منهُ من ايراد الحفلات التي كنا نقيمها بالجزيرة بسراي آل لطف الله الكرام ويساعدنا على نجاحها فضليات السيدات وعقيلات ممثلي الدول في بلادنا واقبال المشجعين أمثالكم عليها ومن دخل معارض الاشغال ومساعدة المحلات التجارية التي طالما تبرعت لنا بهدايا كانت تباع في هذه الحفلات . ونذكر بالشكر محل الملكة الصغيرة التي خصصت ريع أسبوع لمشروعنا كما نذكر محل سمعان صيدناوي بالشكر الجزيل واحمد بك نجيب الجواهرجي الذي خصص لنا قطعاً ثمينة من الحلي لتكون جوائز في السحب الخيري لصالح الجمعية — ولقد كان لعطف حضرة صاحبة السمو ساكنة الجنان الاميرة أمينة توفيق (أم المحسنين) في بدء تأسيس معهدنا فضلٌ كبيرٌ في مساعدتنا وحذا حذوها في تشجيعنا من بعدها حضرتا صاحبتي السمو كريمتيها الاميرة خديجة عباس حليم والاميرة نعمت كمال الدين وكذلك حضرة صاحبة السمو الاميرة نعمت الله مختار وهنا لا يمكني ان أجحد فضل المرحوم المستر هربرمان الاميركي الذي تبرع بمبلغ مائتي جنيه أرسلها من اميركا مساعدة في تأسيس هذه الدار . ولما كنا نعلم ان الحكومة تساهم عادةً في بناء المؤسسات العلمية والخيرية تقدمنا بطلب ما يستحقهُ مشروعنا من معاونة اسوة بغيره من المشروعات فاعتمد لنا مراد سيد احمد باشا وزير المعارف اذ ذاك مبلغ الف جنيه ما زلنا ننتظر صرفهُ حتى الآن .....

وبهذا المبلغ الذي دبرناه من منال بدأنا بناية هذه الدار وتولانا الله بتوفيقه وعنايته حتى أتممناها وقد تبرع مصطفى بك فهمي المهندس بعمل تصميمها على الشكل الجميل الذي ترونه كما أخذ السيو بيانكي المقاول الكبير على عاتقه بناء هذه الدار بقدر ما يمكن من العناية والاقتصاد وما زال الاتحاد يحفظ لها هذه اليد وما زال يقوم بتسديد ما عليه من ديون البناء مع ما يؤديه مشغله ومدرسته تحت اشراف وزارة المعارف من خدمات للعلم والثقافة بتعليم منظم تلميذاته بالمجان في القسم الخارجي والداخلي ولهذه القاعة من الشأن فضل كبير في نشر الثقافة فقد ألقى فيها كثير من العلماء والمصلحين محاضرات في شتى البحوث على جمهرة من طلاب العلم ورواده